

الدرس الأول: السياسة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

1- الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم: استقر الوجود الروماني في شمال أفريقيا باحتلال قرطاج وتدميرها سنة 146 ق م، وهو التاريخ الذي مثل بداية عهد استعماري طويل لبلاد المغرب القديم، حيث عمل الرومان على إخضاع ممالك شمال إفريقيا عبر تشتيتها ثم الاستحواذ عليها عبر حروب طاحنة ودسائس سياسية متواصلة، فحولوا ممتلكات قرطاج إلى مقاطعة رومانية، ثم استغلوا مسألة وراثة عرش ماسينيسا 148 ق م ثم مكوسن بين أبنائه وحرب يوغرطة 105 ق م لضم الجزء الغربي من مملكة نوميديا، ليعلنوا ضم غيرها من الأراضي بعد حرب يوبا الأول في عهد جوليو سيزار سنة 46 ق م، قبل أن يلهتموا مملكة مورتانيا ويجعلوها ضم المقاطعات الرومانية بعد أن قام الامبراطور كاليغولا (**Caligula**) اغتيال بطليموس ابن يوبا الثاني سنة 40م

- **المرحلة الأولى (تأسيس مقاطعة أفريقيا):** بعد تهديم قرطاج سنة 146 ق م حول سكيبيو أفريكانوس الأراضي القرطاجية إلى مقاطعة رومانية (**Provincia Africa**) وفصلها عن باقي الأراضي النوميدية بالخدق الملكي (**Fossa regia**) أو خندق سكيبيو، وكانت هذه المقاطعة تحتوي تقريبا على شمال شرق تونس الحالية، بينما أصبحت بلاد النوميدي من الخندق الملكي إلى نهر مولوشا تحت حكم الإقليم ماسينيسا ومن جاء بعده، وإلى الغرب من مولوشا المملكة الموريتانية.

- **المرحلة الثانية (تأسيس مقاطعة أفريقيا الجديدة):** حيث استغل الرومان مسألة الصراع حول وراثة العرش النوميدي خاصة بعد مقتل هيمسال على يد يوغرطة، وشكوى أدهم بعل عند الرومان كدريعة للتدخل وتقسيم المملكة النوميدية الموحدة، الجزء الغربي ليوغرطة والشرقي لأدهم بعل، لكن يوغرطة سرعان ما دخل مدينة سيرتا سنة 112 ق.م الذي واجه الرومان رافضا الخضوع لأوامرهم حتى بعد انهزامه في زاما سنة 108 ق.م، ورغم استعادته لقسنطينة بمساعدة بوكوس، فقد كانت مؤامرة هذا الأخير من أوقعته أسيرا سنة 105 ق.م، وبوفاة يوغرطة كان الرومان قد استولوا على إقليم لبدة وقاموا بضمه لممتلكات روما، بينما منحت الأقاليم من مولوشا حتى وادي الصومام لملك مورتانيا كوفاء لمساعدته في القبض على ماسينيسا، لتأتي هزيمة يوبا الأول في معركة تابسوس سنة 46 ق م وتعلن روما عن تأسيس مقاطعة أفريقيا الجديدة (**Africa Nova**) (التي سيتسلمها أغسطس ليوبا الثاني -حسب

المؤرخ ديون كاسيوس- سنة 30 ق م، قبل أن يتخلى عنها ليحكم مملكة موريتانيا سنة 25 ق م وألحقت أفريقيا الجديدة بأفريقيا القديمة) -أفريقيا البروقنصلية-

ومنح الجزء الغربي المتبقي من وادي الصومام (Sava) حتى الوادي الكبير (Ampsaga) لمملكة موريتانيا وبهذا أصبحت حدود أفريقيا الجديدة تقع بين الخندق الملكي قيرطا، لكن القائد أرابيون عاد من اسبانيا بعد مقتل يوليوس قيصر سنة 44 ق.م وطرد الملك بوخوس الثاني وقتل زعيم المرتزقة سيتئوس وتم ضم ما عرف بالكونفدرالية السيرية إلى مقاطعة أفريقيا الجديدة سنة 44 ق.م التي بدورها ستمج في أفريقيا القديمة سنة 27 ق م، مع تطور التنظيمات والتقسيمات الإدارية (سنرى ذلك في السداسي الثاني)

- المرحلة الثالثة (ضم مملكة موريتانيا): إلى الغرب من الوادي الكبير (غرب مقاطعة أفريقيا الجديدة) كانت توجد مملكة موريتانيا التي توسعت على حساب الأراضي النوميديّة مرتين كما رأينا، لكن بوفاة الملك بوخوس الثاني 33 ق.م أصبحت مملكته بلا وريث وآل حكمها لتصبح تعرف موريتانيا أغسطس لمدة ثماني سنوات (نسبة للامبراطور أوكتافوس) ثم آل حكمها ليوبا الثاني 26 (25) ق.م ثم ابنه بطليموس 23 م، وحكمها حتى تعرضة للاغتيال من طرف كاليغولا سنة 40 م، لتتحول بعدها المملكة إلى مقاطعتين رومانيّتين: موريتانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية يفصلهما نهر مولوشا.

2- السياسة الرومانية في بلاد المغرب القديم: أثناء الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم وبعد أن تم لهم الأمر كان الرومان يعملون على تطبيق سياسة مرحلية لضم بلاد المغرب وحكمها تحت سلطة الرومان عبر تعيين القضاة والقناصل، وبعد أن ضم الرومان شمال أفريقيا إلى ممتلكات روما برزت السياسة الرومانية أكثر وضوحا، فانتهج الرومان سياسة الرومنة عبر ربط كل مظاهر الحياة في أفريقيا الشمالية بالمظاهر الحضارية الرومانية.

- سياسة الرومنة: يعود ظهور مصطلح الرومنة إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي والذي جاء به هو المؤرخ الألماني تيودور مومسن، والذي اعتبرها في البداية رومانية لنشر نموذج المدينة الرومانية المحدد بالعمران في الأقاليم التي سيطر عليها الرومان، وقد اتبع المختصون في فهم مصطلح الرومنة أسسها المتمثلة في محاولة روما فرض لغتها وثقافتها في الأراضي التي سيطرت عليها واستوطنتها.

لذا فإن روما في مشروعها الاستيطاني لم تكتفي بالنصر العسكري وتوسيع سيطرتها وحياسة الأراضي كملكية رومانية وإنما عمدت إلى استخدام عناصر محلية خدمة لمصالح روما من أجل تثبيت حضارتها ومحو معالم الحضارات السابقة.

ومن هذا المنطلق فسياسة الرومنة هي محاولات روما تغيير البنية الحضارية للشعوب التي تمكنت من احتلالها عبر طمس المعالم المحلية ونقل الحكم والرجال والمظاهر الحضارية إلى المنطقة المحتلة، ويرى محمد البشير شنيقي أن الرومنة هي تغيير الرومان للأنظمة الإدارية التي وجدوا عليها المناطق المحتلة تغييرا جذريا إلى أنظمة إدارية رومانية خالصة، ويمكن القول أيضا أنها بروز لبصمة روما في المناطق المحتلة في جانبها الحضاري والسكاني والاجتماعي، الاقتصادي والثقافي.

وبذلك فالرومنة هي سياسة استعمارية طبقتها روما في شمال أفريقيا عبر آليات متعددة، إقطاعية واقتصادية، اجتماعية، إدارية، عمرانية، ثقافية ودينية نبرزها فيما يلي:

- إدارية: عبر تنظيم المقاطعات الرومانية في المغرب القديم وتوزيعها بين حكم مجلس الشيوخ والامبراطور لاحقا-محاضرة لاحقة-
- اقتصادية: عبر تغيير ملكية الأرض وإصدار قانون الأرض الروماني واتباع سياسة الكنترة -محاضرة لاحقة-

2. الكنترة:

جاء الاحتلال الروماني إلى أفريقيا بأنظمة مختلفة إدارية وعسكرية وجبائية، وأهمها الكنترة-من الكلمة اللاتينية كنتوريا Centuria وتعني مساحة حقل قدرها 50 هكتار في المتوسط- وهي عملية مسح الأراضي (Arpentage) وهي إجراءات إدارية هندسية يقوم بها مهندسو المساحة تتمثل في تخطيط الأراضي التي يراد كنترتها بخطين متعامدين شرق-غرب (وهو خط الديكومانوس الكبير Decumanus maximus) وشمال-جنوب (وهو خط الكاردو الكبير Cardo maximus) وهي قاعدة معمول بها في تخطيط المدن ومعسكرات الجند أيضا¹، وهذان الخطان هما بداية لخطوط موازية لهما وبذلك يتم الحصول على قطع رباعية، ضلع كل واحد حوالي 710م، فتكون مساحة القطعة الواحدة حوالي 50هكتار، وحيث أن الكاردو والديكومانوس هما في الأساس طريقان فإن تخطيط الطرق يكون مصاحبا لهذه العملية التي تبني عليها فيما بعد الأقسام الضريبية المفروضة، ثم توضع علامات مرقمة تبين خطوط الحدود واتجاهها²

- اجتماعية و: عبر تفكيك الروابط القبلية للسكان وتهجير الكثير منها.
- ثقافية ودينية: فرض المواطنة الرومانية ورومنة الأسماء للأشخاص والمدن والأقاليم وفرض اللغة والديانة الرومانية -محاضرة لاحقة-
- عمرانية: عبر تأسيس المدن الرومانية وتشييد الحمامات والمسارح والنصب التذكارية ... -محاضرة لاحقة-

مراجع حول الدرس:

1. محمد الهادي حارش: التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري من فجر التاريخ إلى الفتوحات الإسلامية، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992.
2. صحراوي عبد القادر: الاحتلال الروماني لمملكتي نوميديا وموريطانيا (46 ق م-40 م)، الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، ع. 3، ديسمبر 2018.
3. سايح مرزوق أحمد: سياسة الرومنة وأثرها على العمران ببلاد المغرب القديم، الحوار المتوسطي، مجلد 14، العدد 2، ديسمبر 2024.
4. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008